مقدمة

أدب الأقاليم فيه صدق ، وأصالة ، وقلما نلتفت إليه بالبحث والدراسة مما أصاب الحركة الأدبية بالانفصام ، وأضعف العلاقة بين أدب العاصمة وأدب الأقاليم ، وجعل الأول فى إطار إعلامى مرموق ، والثانى فى دائرة ضيقة من الإعلام المغمور . مع أن الأخير أصدق دلالة ،وأقوى تعبيرا عن الأصالة والحياة .

ويجب أن نعترف بأن هذا الخطأ لم يكن عارضا يتعلق بنمو الحياة الأدبية فى مراكزها التقليدية . بل إن جذور هذا الإهمال ، والإحساس به أعمق من ذلك ، وما تزال إلى الآن الهجرة الأدبية إلى العاصمة فى أعماق كل أديب يسعى وراء الشهرة ، ويحلم بالذيوع والانتشار وقد أدى كل هذا إلى خنق كل ما هو إقليمى ، ووجد الإبداع الأدبى نفسه حبيسا ضمن حدود الإقليم الضيقة دون أن تتسلل إليه حزمة ضوء تكشف عنه ، وتضىء أمامه سبل العطاء ، والنماء فتعطلت كل إمكانية للنهوض ، وأجدبت ينابيع الحياة فى مهدها وموطنها ، واختفى الأصل ،وضاع فى زحمة الزيف ،والتقليدية ، والاعلام المأجور وبدت العاصمة ، وقد امتلأت بشتى صور الفن ،وأشكال الأدب دون أن تقع العين على سمات مصرية صميمة اللهم إلا فيما يقدم أحيانا على بعض الصفحات ،وخلال الإذاعة دالا على عمق وأصالة وبين كل الأشكال الأدبية يبدو الشعر أكثرها سرعة فى التقاط التغيرات الاجتماعية ،والإنسانية ، وقد يسبقها ــ أحيانا .

صحيح أنه ليس سلطة مباشرة على الأحداث لأنه دائما يستبق أو يتأخر وتلك هى قدرته ، وليس باستطاعة أى مرسوم أن يغير طبيعته تلك .

ولقد كانت الإقليمية لهذا السبب تعتز بالشعر وتعتبره الشكل الأدبى

المختار والمرغوب لخصوصيته فى التقاط الأحداث ، والتعبير الفنى عن الأيام والحياة والناس .

والإقليمية فى حركتها نفسها التى تدفعها لتتجاوز بنيتها الاجتماعية والأدبية يجب ألا تنسى تلك الخصوصية ، والذاتية فى أدبها حتى يمكن لتلك الخصوصية أن تعمق وتكشف القيم الفنية والجمالية ويصبح أدب الأقاليم مثريا للتجارب الأدبية فى إطارها العام وعنصرا إيجابياً فى تنشيط حركة الأخذ والعطاء بين الإقليم والعاصمة والشاعر الذى بين يدى هذه الدراسة ، والذى تتألق صورته عبر صفحاتها هو « فؤاد محمد أحمد شهاب الدين » أحد شعراء الأقاليم فى الجيل الماضى تمكن من تكثيف الحياة الروحية ، والإنسانية لمجتمعه الريفى فى شلال من الكلمات واستطاع أن يتعمق إحساس ومشاعر أبناء ريفه من خلال الإمتداد والشمول لكل ما تشمله الطبيعة من كائنات وأشياء متوسلا بالحب والشعر رغبة منه فى ترقية مجتمعه ، وتعميق المفاهيم الإنسانية والجمالية بين أفراده ، ولأنه وجد علاقة قوية بين الحب وبين الشعر :

إذ بالحب تصفو أرواحنا ، وتهفو قلوبنا ، وترقد مشاعرنا ، وتتكون لدينا رغبة جارفة بحب الحياة ، والتعلق الصوفى بالجمال ، وشجاعة التخلى عن الذات ، والاتحاد بالمحبوب ، كما أن الشعر رفض للقبح وتمرد عليه ونزوع إلى الحرية ودفاع عن الحق ، والعدل ، وتصوير لطموح النفس وآمالها وإعزاز للإنسان وتكريم له وشاعرنا فى إقليمه كان صوت التجديد الشعرى ، ورسول التيار الوجدانى الذى رفد الرومانسة بروافد الديوان ، والمهجر ، وأبوللو .

وكانت حياته القصيرة التى تشبه حياة الزهور مشحونة بأصدق العواطف الإنسانية ، وأنبلها ، فيها عرف الألم ، والشوق للكمال ، وصبا

قلبه وهفا وشف وجدانه ورق ، وانداح منه الشعر عذرياً عفيفاً نقياً وفى كيانه اختلط الشعر بالحب ، وانبثق كلاهما من الألم والجمال .

فكان وجده ونزوعه الإنسانى رؤيته الشعرية نحو الحياة والناس .

وهذه الدراسة تعرض حياة الشاعر من خلال أحاديث بقايا أسرته ، وفى المقدمة السيد المستشار عبد القادر يوسف ابن عم الشاعر وحبه الوفى ، وصديقه أطال الله فى عمره ، ثم من عاصره من شيوخنا الباقين على قيد الحياة ومن خلال رسائله إلى أصدقائه ورفاقه ، وشيوخه .

أما شعره فلم أظفر منه على حقائق تاريخية ، أو حوادث تفصح عن سمات حياتية أو روابط شخصية تضع الشاعر فى إطار متكامل من فن الترجمة والسير والتأريخ ، وإنما وجدت الشعر منهجا بذاته متكاملا بمقطوعاته يتدفق عاطفة وينبض حبا وهياما ، ويجود نبلا ووفاء ، وكأنى به نشيد إنسانى يحدو ويبشر ويرهص بالقادم من الحياة .

ثم إنه ليس قصائد بقدر ما هو مقطوعات غنائية تدل على الإنسان الشاعر دلالة تفسح له مكانا بين الرومانسيين ، وتضعه فى صفوف العذريين ، ولذلك لم أتناول له فى مستواه اللغوى ، ودلالات المعجم ، وإنما تعمقت به النفس الإنسانية ، وحقائقها العاطفية ، فكان الشعر بحق تأريخا لحالاتها . ولقد فرض الشعر أن أضع له منهجا ينم عن العذرية ، ويوضح عواطفها وخصائصها وحالاتها ، ويبرز معالمها بين القديم والحديث ويصلها بينابيعها حيث الفطرة ، والبكارة ، والنقاء ، والشفافية. ومن أجل هذا وضعته فى مستويين :—

المستوى الأول : تابعت فيه المنهج بدراسة فنيـــة ونقدية توضح الفن وأدواته ، وخصوصية تلك الأدوات بما يجعل للغة العذر بين ، وتجاربهم ،

وصورهم وموسيقاهم خصوصية تتميز بها العذرية ، ويتألق بها شعرها ، وتتدفق منها عاطفتها . ومستوى ثانيا : ينبغى تناول شعرهم من خلاله . ذلك أن اللغة تستمد سموها فى ذاتها ، وفى موضعها من السياق وأن الشاعر العذرى فى لغته إنما يشتق من ذات نفسه ، وحقائق فنه . وأن التجربة تتميز بالديمومة لا بالآنية ويأملها المصفى للروح والملكة والحواس .

كما أن الصورة هى نتاج ما يحدثه المعجم العذرى من دلالات وإحساسات وليست عملا بلاغيا تقليديا فحسب .

والموسيقى سديم عاطفى ، وبؤر لغوية متتابعة تمثل وحدات تلتقى فيها أجواء النفس الشاعرة بالإيقاعات التفعيلية مع ما عند المتلقى من استجابات وتوقعات .

والشعر العذرى بهذه الموسيقى يوضح الحاجة إلى إعادة النظر فى عروض الشعر لربطه بالآلة الموسيقية ، والدراسات النفسية الحديثة .

ثم إن هذه الدراسة وهى تلبى دعوة ربط الجامعات الإقليمية بالبيئة ومطالب الحياة فى الاقليم إنما تضيف مسئولية وهى لفت الأنظار إلى أدب الأقاليم للكشف عنه وعن معدنه الأصيل .

وبعد ... فرحم الله شاعرنا « فؤاد » ومنحه من الكوثر وحور جناته ما يبل به قلبه الصدى ويسعد روحه الهائم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

، الدقى فى ٢٨ من نوفمبر سنة ١٩٨١ .

عبد الرءوف أبو السعد